سلسلة روائع ينابيع القصصية

صفقة مع الشيطان

تأليف

محمد فتحى صبرى

رسوم

أحمد شوقي

إخراج فني

هاني رمضان

١٥ ش الطوبجي - خلف مرور الجيزة - بين السرايات - الدقي
تليفون وفاكس : ٧٤٩٣٦٨٥(٢٠٢)   محمول : ٠١٠/٥٠١٤٥٧٣
E.mail: ynabeea45@hotmail.com
رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٣٤٠٩

كان «عرفان» الطالب بمدرسة النهضة الثانوية ولداً عجيباً، كان أعجب ولد في المدرسة، بل وجميع المدارس الأخرى .. فهو إذا قرأ في جريدة عن مجرم ارتكب جريمة سرقة أو نصب، ولم تستطع الشرطة القبض عليه، يعلق في غبطة وإعجاب:

- ياله من ولد. عرف كيف يفلت من أيديهم.

وحين يسأله زملاؤه في دهشة: ولكن لماذا تفرح هكذا، فالمجرم هارب من العدالة؟!

فيجيبهم في زهو وتحد: المهم الشطارة والفهلوة، فالشاطر هو الذي يعرف كيف يكسب، فلو كان غبياً لاستطاعت الشرطة القبض عليه.

فتزداد حيرة زملائه .. ومما كان يزيدهم دهشة وحيرة من أمره، أن كلاً منهم كان يشاهده إما يلعب الكرة، أو واقفاً على ناصية الشارع مع شلته. فيتساءلون في حيرة: «إننا نتعجب كيف ينجح «عرفان» في كل عام، بالرغم من أنه لا يذاكر ولو يوم واحد؟!!».

..ولكن.. لم يعرف أحد منهم السر، فقد كان «عرفان» ماهراً في إتخاذ الطرق غير المشروعة لكي يجتاز اختبار آخر العام بنجاح، فكان يلخص المقرر كله في قصاصات من



الورق، ثم يخفيها بداخل أوراق الإجابة لينقل منها -في غفلة من المراقبين- ويساعده على ذلك أعصابه الفولاذية.

... واستمر «عرفان» في اتباع هذه الطريقة .. حتى التحق بكلية الحقوق، وفي الكلية صار معروفًا -بين زملائه- بأنه الطالب الوحيد الذي لم يدخل قاعة المحاضرات ولو مرة واحدة!

.. ورغم ذلك فوجئ الجميع به يجتاز سنوات الكلية الأربع بنجاح. فعلق أحدهم وهو لا يصدق: إنني أتعجب. كيف حصل «عرفان» على ليسانس الحقوق، مع أن معلوماته في القانون لا تزيد عن معلومات من لم يلتحق بكلية الحقوق.

فرد آخر في شك: من المؤكد أنه نجح بالغش.

فعلقت إحدى الزميلات معترضة في ضيق: وما فائدة النجاح بالغش، فكيف سيشتغل بالمحاماة وهو لا يفقه شيء؟!

.. إلا أنه وبالرغم من ضآلة معلومات «عرفان» القانونية، لكنه كان بارعًا في اجتذاب العملاء إلى مكتبه، حيث استطاع استئجار شقة أمام مديرية الأمن، وجعل منها

مكتباً له، حيث تصل سيارة كل ساعة لنقل مجموعة من المجرمين المقبوض عليهم إلى المديرية في حملات رجال المباحث والمرحلين إلى النيابة للتحقيق.

فعين «عرفان» لذلك مجموعة من الموظفين انتقاهم بعناية، وجعل مهمتهم محصورة في كيفية اصطياد الزبون من بين هؤلاء المقبوض عليهم .. فيقف الموظف منهم ليهمس في أذن من يختاره من هؤلاء المرحلين:

- ولا يهمك. يوجد بالقرب من هنا مكتب محام يستطيع أن يخرجك منها كالشعرة من العجين.

وكان «عرفان» يوصي موظفيه بأن يختاروا المذنبين فقط من بين المقبوض عليهم، ويتركوا من يشكون في أنهم مظلومين فعلاً، فالمظلوم لا يدفع كثيراً لأنه يعرف أنه بريء، أما المذنب فهو الذي يدفع الكثير، بل سيدفع كل ما يملك لصعوبة الحصول على براءته.

وكان لعرفان شرط آخر غريب .. أن يدفع الزبون نصف الأتعاب قبل حصوله على البراءة .. وقد كان محقاً في ذلك، لأنه ليست لديه المعلومات ولا المهارات القانونية التي يستطيع أن يحصل بهما على براءة موكله .. فكيف الحال لو كان موكله أصلاً مذنباً؟!!

ولكن .. وبالرغم من هذه الأعيب والحيل، إلا أنه لم ينجح في الفوز بقضية واحدة من القضايا التي أسندت إليه، فخشي أن يفتضح أمره، فاضطر أن يلقن موظفيه كذبة أخرى ليقولها لكل من يأخذ حكماً:

- أحمد ربنا. كان من المفروض أن يحكم عليك بمؤبد. لكن مهارة الأستاذ خفضت الحكم إلى خمسة عشر عاماً فقط.

بيد أن هذه الأكاذيب والحيل لم تغير من سمعة «عرفان» التي أخذت تسوء .. حتى صار مجرد ذكر اسمه كمحام يثير الفزع بين المتهمين.

فلم يعد أحد يقبل على مكتبه لشهور طويلة، فاضطروا إلى طرد العاملين بمكتبه.. حتى ساعي المكتب نفسه.. فأضحى «عرفان» وحيداً في مكتبه.

وجعل «عرفان» يفكر في ندم وحنق «ليته تعلم .. فلو كان يذاكر فعلاً، لحصل على المعلومات القانونية التي تجعله ينجح في مهنة المحاماة .. واحتار «عرفان»، وسأل نفسه: ماذا أفعل؟ وهل أقبل على قراءة الكتب، وأنا الذي لم يعتد القراءة ولو حتى قراءة الجرائد! .. ومهنة المحاماة تحتاج إلى القراءة الدائمة للقوانين وعمل المذكرات القانونية،

فالفهلوة لا تجدي فيها شيئاً .. فهل يترك المهنة؟

وراح «عرفان» لعدة أيام يفكر في ترك مهنة المحاماة، والتي اتضح لديه تماماً أنه لا يملك المهارة ولا المعلومات التي تتيح له ممارستها .. حتى خطرت له فكرة فجأة، فتساءل في حماسة: لماذا لا أغير نشاط المكتب ليصير مكتب استيراد وتصدير؟ فهي مهنة لا تحتاج إلى القراءة التي أبغضها ولا أطيقها، بل كل ما تحتاج إليه الموهبة والفهلوة .. وهي كل ما أملك!

ومر بخاطره «حامد» الذي كان زميلاً له بالكلية، حيث كان والده -قبل وفاته- صاحب مكتب للاستيراد والتصدير، فمن المؤكد أن حامداً على علم بطبيعة مكاتب الاستيراد والتصدير.

فأسرع وفتح درج مكتبه وراح يفتش فيه، وأخرج منه مفكرته التي يدون فيها مذكراته وتليفونات وعناوين معارفه .. وفي ثوان وقعت عيناه على عنوان وتليفون مكتب والد «حامد» والذي جهزه «حامد» ليكون مكتباً له لممارسة المحاماة.

ومد يده بسرعة وأدار قرص الهاتف ليطلب مكتب «حامد» .. ولكن كان هاتف حامد مشغولاً، فلم يطق صبراً حتى يأخذ منه ميعاداً، بل غادر مكتبه على الفور، ولم تمض إلا

نصف ساعة فقط حتى كان في مكتب حامد.

وبالرغم من لهفة «عرفان» على الاستفسار من حامد عن طبيعة العمل بمكاتب الاستيراد والتصدير، بيد أنه فوجئ بحامد في هذا اليوم على غير عادته، فقد كان باديًا عليه القلق .. وكان من الواضح أنه يترقب حضور ضيف مهم .. فلما اضطر «عرفان» أن يسأله في حيرة عن سر هذا القلق، أمن «حامد» على كلامه قائلاً:

- لقد أصبت في ملاحظتك يا «عرفان»، فأنا في أشد حالات القلق والترقب، فلا تؤاخذني، فأنا والله مشتاق لمعرفة أخبارك، وأخبار كل زملاء الكلية، ولكن لا تتصور مدى قلقي الآن. فأنا أترقب زيارة هامة بل أهم زيارة ستحدد مستقبلي كمحام.

فلما نظر إليه «عرفان» مستفسرًا، استمر «حامد»:

- لا تتصور معنى أن يأتيك فجأة حل لأشهر قضية تدور على ساحة المجتمع الآن.

قال ذلك وألقى نظرة فاحصة على وجه «عرفان» الذي اعترته الحيرة والدهشة، ثم أردف قائلاً:

- لعلك قد سمعت طبعًا يا «عرفان» عن قضية السبعاوي؟

فأومأ «عرفان» برأسه مؤمنًا على كلام «حامد»، وتساءل:



- نعم. نعم، سمعت. أليس هو المليونير المتهم بقتل حارس البنك وسرقة مليون جنيه من البنك؟!

فعلت وجه «حامد» ابتسامة واسعة، وقال:

- نعم. هو متهم بقتل الحارس، ولكن دليل اتهامه أمام النيابة ضعيف، فلو اعتمدت على هذا الدليل بصفتي محامي القتيل، فمن المؤكد أن السبعاوي سيخرج من هذه التهمة بسهولة تامة.

فتساءل «عرفان» في لهفة مصحوبة بالدهشة:

- ولماذا قبضوا عليه إذن؟! وما هو دليلهم؟

أجاب «حامد» بعدما ألقى نظرة على ساعة يده:

- إن النيابة استندت فقط إلى وجود بطاقة تحقيق شخصية السبعاوي التي عثر عليها رجال المباحث ملقاة مع بعض الأوراق في ركن من أركان البنك أثناء تفتيشهم في البنك عقب الحادث مباشرة، فاستدلوا على الفور أن السبعاوي هو القاتل، وأن حارس البنك حاول مقاومته، فأدى ذلك إلى وقوع هذه الأوراق من جيب السبعاوي والتي من ضمنها هذه البطاقة!

وصمت قليلاً، ثم أردف:

وأنت تعرف أن هذا بنك، وكل من يذهب إليه -للصرف- يجب أن يبرز بطاقة هويته ليأخذوا بياناتها قبل أن يصرفوا له الشيك. وقد صرف السبعاوي فعلاً في هذا اليوم مبلغاً من البنك بشيك، حسب ما هو ثابت بأوراق البنك.

فمن المؤكد جداً أن يثبت محامي السبعاوي أن بطاقة الهوية للسبعاوي قد فقدت منه في هذا اليوم.

وتوقف عن الحديث فجأة، واتجه إلى ثلاجة تجميد في ركن المكتب، وفتحها وأخرج منها علبتين من المياه الغازية، وبعدما قدم إحداها لعرفان، استكمل حديثه قائلاً في فخر: ولكن أنا. أنا الوحيد الذي يملك الدليل على إدانة السبعاوي.

فسأله «عرفان» في شغف شديد:

وما هو هذا الدليل؟ فندت عن «حامد» ابتسامة فخر وزهو وهو يجيب: شاب. مجرد شاب صغير كان يسير بالصدفة أمام البنك وشاهد السبعاوي وهو يخرج من البنك، وفي يده السلاح الذي قتل به الحارس، وعندما شاهد السبعاوي الشاب حاول قتله، ولكن الشاب استطاع الروغان منه واختفى من أمامه.

وتوقف «حامد» لوهلة، ثم استمر:

أتعرف. إن هذا الشاب الذي سيزورني الآن هو هذا الشاهد. فقد اتصل بي وروى لي كل ما حدث بالتليفون، فتواعدنا أن يحضر هنا الآن.

وتنهد قليلاً، وقال وهو يثبت عينيه على وجه «عرفان»:

والآن. عرفت سبب لهفتي وترقبي للضيف القادم، فبالرغم من أنني لن أتقاضى أتعاباً عن هذه القضية، ولكنها رغم ذلك ستكون السبب في شهرتي كمحام. وأيضاً سأطلب تعويضاً كبيراً لأهل حارس البنك القتيل.

وتوقف وصدرت منه زفرات سريعة، ثم أردف في حسرة: تصور أن الحارس هذا كان يعول خمسة أولاد صغار!

وبالرغم من أن الموضوع لم يكن يمت لعرفان بصلة، لكنه ما أن تعرف على الشاهد الشاب، وعرف أنه يعاني من شدة الفقر ولم يجد عملاً منذ تخرجه، حتى خطرت له فكرة، نسى معها موضوع الاستيراد والتصدير الذي جاء من أجله، فقد راح يسأل نفسه بسرعة: لماذا لا يتعرف هو على هذا الشاهد، ليقوم بإقناعه بالعدول عن شهادته، مقابل حصوله على مبلغ كبير يستطيع أن يعمل به مشروعاً .. أما هو فيذهب إلى السبعاوي مصطحباً معه هذا الشاهد



الذي ما أن يتعرف عليه السبعاوي، حتى يدرك أن نهايته قد أوشكت ... فسيضطر إلى الخضوع لطلباته كلها .. وأول طلب له أن يسند إليه السبعاوي قضيته .. فالقضية مضمونة .. لأنه بدون هذا الشاهد سيحصل السبعاوي على البراءة .. ومضافًا إلى ذلك نصف ثروة السبعاوي .. مقابل كتمان شهادة الشاب، وإلا ألتف حبل المشنقة حول رقبة السبعاوي!!

فما أن خطرت له هذه الفكرة، حتى قام فجأة، واستأذن من «حامد»، وغادر مكتبه وتركه مع الشاب .. ثم وقف أمام باب العمارة التي بها مكتب «حامد» لينتظر الشاب.

ولم تمر عدة دقائق، حتى شاهد الشاب يغادر باب العمارة، فأسرع في أثره لبضعة أمتار .. عرج الشاب يمينًا، فلحق به. وبمهارة «عرفان» ووقاحته استطاع أن يقنع الشاب بأنه لو شهد على السبعاوي، فإنه لن يفلت من أيدي أهل السبعاوي، ولكنه لو أحجم عن الإدلاء بشهادته، فسيتقاضى مبلغًا يتيح له الحصول على شقة شاملة الأثاث .. أما أهل القتيل فلن يستفيدوا شيئًا من إعدام قاتل أبيهم، فالأفضل لهم أن يمنحهم السبعاوي مبلغًا يعوضهم به عن فقدهم لعائلهم.

.. أما أمر السبعاوي فكان سهلاً، فما أن شاهد الشاب مع

«عرفان» وهما يدخلان عليه، حتى تهاوى على أقرب مقعد، وأخذت أنفاسه تتلاحق، فاستغل «عرفان» الموقف قبل أن يستعيد السبعاوي توازنه، وقال له وهو يشير إلى الشاب:

والآن. جئت لكي أنجيك من حبل المشنقة.

فشعر السبعاوي كأنه غريق ووجد طوق النجاة أمامه، فصاح في أنفاس متلاحقة:

- أمرك. أمرك يا سيدي، فكل ما تطلبه مجاب!

.. ولم يشترط «عرفان» على «السبعاوي» أن يحصل على نصف ثروته فقط مقابل كتمان شهادة الشاب، بل اشترط أيضاً أن يأخذ من محامي السبعاوي المذكرة التي قام بتجهيزها، ليحصل على براءة السبعاوي، ليقوم بتقديمها هو باسمه .. مادامت براءته مضمونة بدون شهادة الشاهد.

.. واشترط على الشاب ألا يصرف له المبلغ المتفق عليه مقابل كتمان الشهادة، إلا بعد أن يأخذ عليه إيصال أمانة بمليوني جنيه خشية أن يثوب الشاب إلى ضميره فيشهد ضد السبعاوي .. فيظل الإيصال معه كرهينة، يضمن سكوته إلى الأبد.

.. وقام «عرفان» بتقديم المذكرة التي كتبها محامي السبعاوي إلى المحكمة، بعدما وقعها باسمه والتي يطلب

فيها من المحكمة بصفته محامي السبعاوي بالإفراج عنه فوراً لضعف الأدلة ضد السبعاوي .. ففاز بذلك بنصيب الأسد .. نصف ثروة السبعاوي، والأكثر من ذلك أن اسم «عرفان» المحامي قد صار يتردد بين الناس والمحامين الكبار، فقد شغلت قضية السبعاوي الناس جميعاً طوال شهرين كاملين، حيث كان خصومه خلالها قد راحوا يشهرون به في كل الجرائد، فكانت الحملة التي شنوها عليه قد جعلت الناس تتوقع إعدامه، لولا المحامي الماهر «عرفان» الذي أنقذه من حبل المشنقة.

.. فذاعت شهرة «عرفان» كمحامي، وصار اسمه يتردد على كل لسان .. فجعلت الناس تتردد على مكتبه الشهير، ولكن «عرفان» كان واعياً، فلم ينس أبداً أنه محام ضعيف، بل لا يجيد حتى مجرد الاضطلاع بإجراءات التقاضي نفسها .. فلكي يهرب من القضايا الكبيرة، اضطر إلى عقد صداقات مع كبار المحامين، ليحيل إليهم قضايا مكتبه، بحجه إنشغاله .. أما القضايا التي تحتاج إلى شهود زور أو تزوير في مستندات، فكانت من نصيبه هو .. وهي القضايا التي يدفع فيها أصحابها الكثير لأنهم يعرفون أنهم مذنبون فعلاً، ولا يستطيع أن يخرجهم من ورطته سوى محام كبير .. مثل «عرفان»!!



.. ومرت سنوات طويلة .. أضحى خلالها الأستاذ «عرفان» علماً من أعلام القانون، ورمزاً للمحامي الكبير ذي الاسم الرنان، والذي في ظله يرتكب المجرمون جرائمهم بلا خوف، وصار شهود الزور والمزورون أعمدة العاملين في مكتبه!

.. فما برح رجال الشرطة يتساءلون لسنين طويلة: كيف يحدث هذا! إننا نقبض على المجرم متلبس بالجريمة، ولكنه ما أن يلجأ إلى الأستاذ «عرفان»، نفاجأ به -وبطرق لا نفهمها- ينتزع لموكله البراءة، فلو استمر الحال هكذا، فلن يدخل السجن مجرم أبداً!!

.. وفي يوم .. وبينما كان «عرفان» في مكتبه، استأذن مدير مكتبه في الدخول، فلما أذن له «عرفان»، قدم الرجل له بلاغاً من قسم الشرطة، يستدعيه فيه القسم لمقابلة رئيس النيابة شخصياً، فظن «عرفان» إنها من المؤكد خاصة بأحد موكليه، فذهب في اليوم التالي ليستطلع ما الأمر، فإذا برئيس النيابة يقول في حرج:

- للأسف البلاغ خاص بسيادتك وليس أحد من الموكلين.

فلما نظر إليه «عرفان» في دهشة، أردف رئيس النيابة قائلاً:
- نعم فسيادتك متهم بارتكاب حادث بسيارتك أدى إلى

وفاة السيد «صالح الجندي» منذ ثلاثة أسابيع.

فأصيب «عرفان» بذهول شديد، وجعل يحدق في وجه رئيس النيابة في دهشة، ثم تساءل وهو لا يصدق:

أنا. أنا قتلت أحد بسيارتي؟! إنني لا أصدق وأين حدث هذا؟!

فمد رئيس النيابة يده، وتناول ورقة علي مكتبه، وراح يقرأ المكتوب عليها بلهجة رسمية: «لقد جاءنا بلاغ بأن السيارة المرسيدس رقم ٨٤٩٠٥ جيزة المملوكة للمدعو «عرفان الجابري» صدمت السيد «صلاح الجندي» أثناء عبوره الطريق بشارع الجيش ليلاً منذ ثلاثة أسابيع، وقد شهد ابن القتيل نفسه هو وأحد الرجال كان يسير وقت التصادم بجانب السيارة، وقد شاهداك وأنت تقودها بنفسك».

.. وبالرغم من إنكار «عرفان» للتهمة المنسوبة إليه، إلا أن النيابة لم تجد أمامها حلاً سوى إحالة القضية بإدانة المتهم «عرفان» لثبوت الحادثة وشهادة الشاهدين.

.. وتحدد بسرعة ميعاد القضية، وأسرع عرفان ليستشير أصدقاءه من كبار المحامين، فلم يستطع أحد منهم الوصول إلى ثغرة لكي ينفد منها «عرفان» للحصول على براءته.

فراح في دوامة .. حتى فوجئ بأن الأيام قد مرت ولم يبق أمامه إلا أسبوع واحد. فبات كل هم «عرفان» في هذا الأسبوع أن يشاهد هذين الشاهدين المزورين، وبسرعة، وعن طريق علاقاته الهائلة، استطاع الحصول على عنوان أحدهما .. ويدعى «أحمد هلال» ... وفي ظرف ساعة واحدة، كان «عرفان» واقفاً أمام مسكن «أحمد هلال» هذا، ومد يده إلى زر الشقة الكهربائي.

.. وانفتح الباب، فما أن شاهد «عرفان» صاحب المسكن، حتى كاد أن يقع مغشياً عليه، فقد كان هو الشاب الذي أقنعه بالعدول عن شهادته ضد السبعاوي.. فبالرغم من اللون الأبيض الذي زحف إلى شعره، وبالرغم من تهدل جسمه من فرط السمنة، إلا أن وجهه لم يتغير.

سأل «عرفان» الرجل وهو لا يصدق: أنت! إنني لا أصدق. لماذا فعلت ذلك؟!

ولكن لم تختلج شعرة واحدة في الرجل، بل فوجئ به «عرفان» يقول في تحد ووقاحة:

حقي. وهل نسيت أنني وراء كل ما أنت فيه من ثروة وشهرة!!

فبهت «عرفان»، وراح يحدق في الرجل في ذهول، فلم يصدق أبداً أن الذي أمامه هو الشاب الخجول الذي أقنعه بصعوبة



أن يمتنع عن الإدلاء بشهادته أمام النيابة منذ أكثر من عشرين عاماً.

إلا أنه رغم شدة المفاجأة، لكنه سرعان ما استطاع أن يستعيد صوابه، وسأل الرجل في دهشة وهو يدخل من الباب:

ولكن. من الذي قتل الرجل. ربما . ربما قتلته أنت لتدبر الحادث ضدي؟!

ففوجئ بالرجل يقول في استهانة وتحد:

إنني لم أقتل أحداً. بل شاهدت الحادث مصادفة، ولما تعرفت على ابن القتيل خطر ببالي على الفور فكرة إتهامك بالقتل لنتقاسم أنا وابن القتيل ثروتك معاً بعد أن تلجأ إلينا فنغير من شهادتنا.

فاستشاط «عرفان» غضباً، وهم بأن يهجم عليه ليمزقه قطعاً، ولكنه استطاع أن يقنع نفسه في آخر لحظة بأنه لا جدوى من ذلك، فأخذ يجاهد الثورة التي اعتملت بداخله، حتى استطاع أخيراً أن يهدئ من ثائرته، وفجأة، خطر له أمر، فسأل الرجل في حيرة:

- ولكن. كيف خطر ببالك أنني سأتعرف عليك وآتيك هكذا؟! فما قيمة الخطة لو لم آتيك أنا بعدما قمت

باتصالاتي والتي عن طريقها استطعت التعرف على مكانك. فهل كنت تنجم بأنني سأستطيع التعرف على عنوانك قبل ميعاد القضية بأسبوع واحد فقط؟! إنني لا أصدق!

ففوجئ بالرجل يطلق ضحكة عالية، وقال متباهيًا بذكائه:

- أتذكر الورقة التي أُرسلت إليك باسمي وعنواني؟ لقد أعطيتها أنا بنفسي لفراش مكتبك قبل أن تدخله بساعة واحدة، وطلبت منه أن يسلمها إليك فور دخولك المكتب وبأي شكل.

فنظر إليه «عرفان» مبهوتًا، وتساءل وهو لا يصدق:

أنت! لقد ظننت أن الذي أرسلها أحد أعواني. شكري. أو مراد. أو لا. لا. إنني لم أفكر فيمن أرسلها. ولكن ...

فندت عن الرجل ابتسامة ساخرة، ثم قال في زهو وتحد:

لكي تعرف أنك لست الوحيد الذكي. بل هناك من هو أذكى منك. وتوقف، ثم أردف بصوت مرتفع مليء بالفخر:

«أحمد الهلالي».

فصعد الدم في رأس «عرفان»، وهم بأن يهوي عليه ليقتله. ولكنه اضطر بعد أن جاهد نفسه إلى المهادنة، فسأل

«أحمد الهلالي»، وهو يتميز غيظًا:

وما هي شروطك لكي تغير شهادتك؟ فأجاب «أحمد الهلالي» بسرعة:

ثروتك كلها!

.. فارتجف كل جسد «عرفان» من فرط المفاجأة، ولكنه جاهد نفسه حتى استعاد هدوءه مرة ثانية، ثم قال:

موافق. سأدفع لك كل ثروتي. الثلثمائة ألف جنيه. ولكن .. ولدهشته فوجيء بأحمد الهلالي يقول في غرور وتحد: بل مليون وتسعمائة وخمسون ألف جنيه بالكامل. فإنني أعرف كل ما تملكه وعلى علم بأرقام حساباتك بالبنوك.

فأذعن «عرفان» لطلب الرجل، بعدما أقنع نفسه، بأن يأخذ بثأره منه بعد أن يفوز بالبراءة.

واتفق الخصمان على أن يسدد «عرفان» شيكًا بثروته كلها قبل موعد المحاكمة بيوم واحد، مقابل أن يثبت الشاهدان للمحكمة عدم تعرفهما على «عرفان»، فيحصل بذلك على براءته.

.. وقبل الجلسة بيوم واحد، أرسل «عرفان» الشيك بالمبلغ المتفق عليه .. ولم ينم «عرفان» في هذه الليلة .. فقد كان

الحزن يعتصره من جراء لعبة «أحمد الهلالي» الجشعة التي لهف بها ثروته، ولم يترك له شيئًا ليعيش عليه، فتحامل على نفسه، وذهب إلى خزينة مكتبه التي تركها منذ سنوات طويلة، عساه يجد فيها مبلغًا باقيًا من المبالغ الصغيرة والتي كان في بعض الأوقات يحفظها بها .. وبصعوبة شديدة، استطاع أن يعالج فتحها، وأدخل يده وراح يفتش في أدراجها، ولكنه لم يجد بداخلها شيئًا يذكر، عدا ورقة قديمة متهالكة من فرط القدم ومطوية، فحاول بصعوبة أن يفردها خشية أن تنقطع بين يديه لتهالكها الشديد .. حتى استطاع أخيرًا أن يفردها، ولكنه ما أن ألقى نظرة على ما هو مكتوب عليها، حتى صاح في ذهول:

يا إلهي!!

فقد كانت الورقة هي إيصال الأمانة الذي أخذه على «أحمد الهلالي» عندما كان شابًا!!

❖❖❖

فكاد «عرفان» أن يقع مغشيًا عليه من فرط الفرحة .. وجعل يعاود قراءة الورقة مرة ومرات وهو لا يصدق نفسه .. وراح يفكر بسرعة .. إن الورقة بمليوني جنيه، فمعنى ذلك أنه سيسترد كل ثروته، بل ويزج بأحمد الهلالي في



السجن بعدما لا يستطيع موافاته بالخمسين ألف جنيه الباقية .. وكل ذلك بعدما يثبت «أحمد الهلالي» وابن القتيل براءته بعدما يظهرا أمام المحكمة عدم تعرفهما عليه!! ويعترف أحد أعوانه بأنه هو الذي كان يقود سيارة «عرفان» وارتكب الحادث مقابل مائة ألف جنيه عرضها عليه «عرفان» .. ووافق الرجل.

..واسترد أنفاسه أخيراً، وتناول إفطاره في شهية عالية، وجعل كلما فكر في المفاجأة التي سيفاجيء بها الناس أمام المحكمة، كلما ازداد نشوة وغبطة .. فهو يعرف أن المحكمة في هذا اليوم، ستعج بالجمهور ورجال الصحافة وأجهزة الإعلام ... فعندما سينكر الشاهدان أمام الجميع معرفتهما به ويظهرا عدم تعرفهما عليه، وأن شخصاً آخر كان يقود سيارته فصدم بها الرجل، .. ومتى يخرج هو بالبراءة، يفاجيء الجميع بتقديم دليله هو .. الدليل العجيب بأن الشاهدين نفسيهما قد قاما باختلاق ذلك لأنه قد أخذ على أحدهما إيصال أمانة بمليوني جنيه .. وهنا .. سيشعر رجال الصحافة والإعلام -الذين شمتوا فيه- بالخزي والعار، بل سيسترد هيبته كمحام لامع لا يشق له غبار أمام الجمهور العريض. فدخل غرفته وانتقى أفخم حلة لديه وارتداها ..

وحان موعد المحاكمة .. كانت الساحة تغص بالمئات، كان العديد من الناس المظلومين والذين خذلهم «عرفان» مراراً بوقوفه الجائر مع من ظلموهم يتصدرون الجلوس واحتشد رجال الإعلام في كل الأركان .. ودخل «عرفان» ساحة المحكمة، فأحدث دخوله جلبة عالية، واستطاع أن يشق بعينيه في وجوه المحتشدين، والذين بدت على أسارير وجوههم الدهشة، عندما شاهدوه يرسم على شفتيه بسمة الانتصار، ويهز رأسه في غبطة.

ونسي «عرفان» أنه جاء إلى المحكمة متهماً، بل جاء نجماً كعادته، وتمثل الموقف الذي سيحدث أمام عينيه .. سينكر الرجلان معرفتهما به، ويعترف أحد أعوانه بأنه الذي كان يقود سيارته وارتكب بها الحادث .. فتظهر براءته .. وهنا يخرج من جيبه إيصال الأمانة الذي سيجعل الرجلين أضحوكة وسط الجميع .. فيحصل بذلك على حقه بالكامل .. وهيبته . بل ستزداد شهرته المدوية في جميع الأوساط!

.. ولم تمض إلا بضعة دقائق، وحضر القاضي ومستشاروه .. وجاء دور الشاهدان .. ولكن، ولدهشته فوجيء بالشاهدين يتعرفان عليه أمام المحكمة ويؤكدان أنه هو .. هو الذي ارتكب حادث التصادم فقتل الرجل!

فكاد «عرفان» أن يصاب بجنون، واندفع قائلاً في غضب:

أيها الملعونان الكاذبان. ها هو . ها هو يا سيادة القاضي الدليل على براءتي. إنه إيصال أمانة، أخذته على هذا المجرم منذ زمن طويل، ولذلك دبر هذه المؤامرة الخسيسة مع ابن القتيل ليزجا بي في السجن حتى لا أطالبه بالمبلغ.

وأدخل يده في جيبه وأخرج الورقة المطوية وفردها بسرعة وقام بتقديمها للقاضي.

ساد القاعة سكون رهيب، وتعلقت عيون الجميع كلها بالقاضي وهو يقرأ الورقة، ولكن ما أن ألقى القاضي نظرة طويلة على الورقة، إذا بالقاضي ينظر إلى «عرفان» نظرة حائرة، ثم سأله في دهشة: هل هذا إيصال أمانة؟

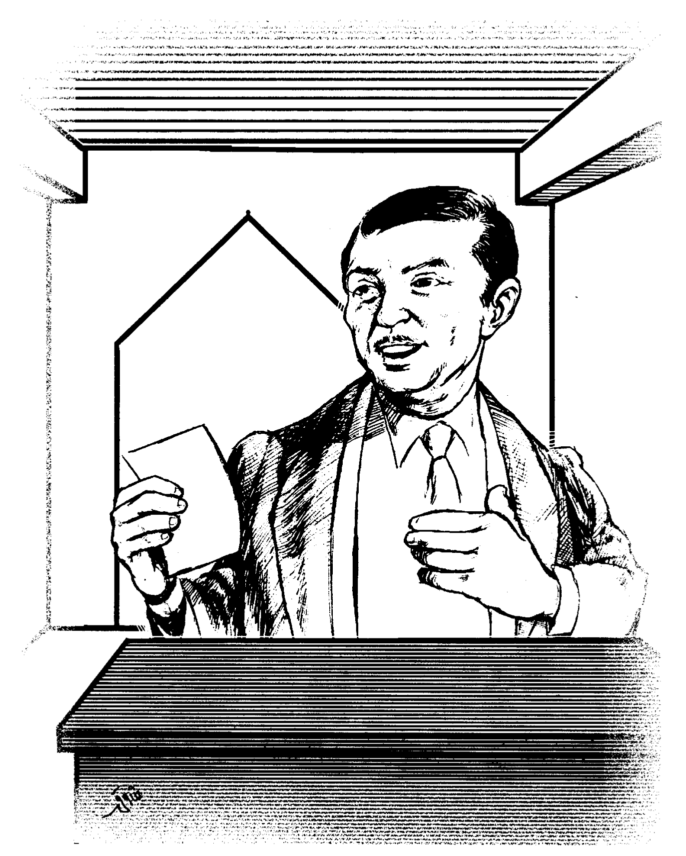
فأجاب «عرفان» في دهشة:

- نعم.

فمد القاضي يده بالورقة وقال لعرفان : أرجوك. تقدم وتناول الورقة لتقرأها مرة أخرى. هل هذا إيصال أمانة؟

فتقدم «عرفان» وألقى نظرة فاحصة على الورقة، ثم قال:

نعم. وها هو توقيعه عليها.



وتقدم وناول الورقة للقاضي وهو يشير بأصبعه على التوقيع.

فما أن تناول القاضي الورقة من «عرفان» مرة أخرى، حتى فوجيء الجميع به يطلق ضحكة ساخرة صدرت رغماً عنه. ثم قال لعرفان في سخرية شديدة، وهو يلوح بالورقة:

- ما هذا يا أستاذ «عرفان»؟! هل يمكن أن تكون جاهلاً بالقانون إلى هذه الدرجة؟

فنظر إليه «عرفان» في ذهول، ثم تساءل وهو لا يصدق:

إنه يا سيدي إيصال أمانة!

فهز القاضي رأسه، ثم قال في سخرية وهو لا يصدق:

- غريبة. بل من العجيب ألا تعرف يا سيدي المحامي الكبير أن إيصال الأمانة يعني أن تأخذ على الفرد إيصالاً يتعهد فيه أن يسلم الأمانة. أما هذا الإيصال، فالمكتوب فيه أن أحمد الهلالي استلم مليوني جنيه منك. وهذا كل ما في الأمر. فلا يوجد أي تعهد منه بأن يرد إليك المبلغ مرة ثانية!!!

❖❖❖

تمت